

سورة الصافات

مكية، وهي مائة وإحدى وثمانون آية،
وقيل: واثنان وثمانون [نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١﴾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾

أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة، من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۝١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥] أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله ﴿فَالزَّجْرَاتِ﴾ السحاب سوقاً ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها. وقيل: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾: الطير، من قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١] والزاجرات: كل ما زجر عن معاصي الله. والتاليات: كل من تلا كتاب الله. ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجيد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات، فالزجرات بالمواعظ والنصائح، فالتاليات آيات الله والدراسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر^(١) مع ذلك لا تشغلها عنه تلك

(١) قال محمود: «المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم، والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء، والمراد تصافف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصي وتلاوتهم الذكر... إلى أن قال: «ويكون التفاضل بين الطوائف إما على أن الأول هو الأفضل أو على العكس» قال أحمد: قد جوز أن يكون ترتيبها في التفاضل على أن الأول وهو الأفضل وعلى العكس، ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع، ونحن نبينه فنقول: وجه البداية بالأفضل الاعتناء بالأهم. فقدم؛ ووجه عكس هذا الترفي من الأدنى إلى الأعلى؛ ومنه قوله [من الطويل]:

بهاليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير
ولا يقال: إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضي رتبة، فإن هذا غايته أنه عذر، وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة؛ وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيويه والخليل في مثل (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) فإنهما بقولان: الواو الثانية وما بعدها عواطف، وغيرها يذهب إلى =

الشواغل؛ كما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قلت: إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود؛ كقوله [من السريع]:

يَا لَهْفَ زَبَابَةِ لِلْحَارِثِ الصَّايِحِ فَالْعَائِمِ فَالْآيِبِ^(١)

كأنه قيل: الذي صبح فغشم فأب. وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه؛ كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك؛ كقوله: رحم الله المحلقين فالمقصرين؛ فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاصفة في الصفات، فإن قلت: فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده؟ قلت: إن وحدت الموصوف، كانت للدلالة على أن ترتب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته، فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه، بيان ذلك: أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها، فعطفها بالفاء يفيد ترتباً لها في الفضل: إما إن يكون الفضل للمصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس، وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة. وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على آخر، فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل، أعني: أن الطوائف الصافات ذوات فضل، والزاجرات أفضل، والتاليات أبهر فضلاً، أو على العكس، وكذلك إذا أردت بالصفات: الطير، وبالزاجرات: كل ما يزجر عن معصية، وبالتاليات: كل نفس تتلو الذكر؛ فإن الموصوفات مختلفة. وقرئ: بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. و ﴿الْمَشْرِقِ﴾ ثلثمائة وستون مشرقاً، وكذلك المغارب؛ تشرق الشمس كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب، ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين. فإن قلت: فماذا أراد بقوله: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]؟ قلت: أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما

﴿إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا بَزِينَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾

﴿الدُّنْيَا﴾ القربى منكم. والزينة: مصدر كالنسبة، واسم لما يزان به الشيء؛ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة، ويحتملها قوله: ﴿بَزِينَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ فإن أردت المصدر، فعلى إضافته إلى الفاعل، أي: بأن زانتها الكواكب، وأصله/٢/ ١٢٦: بزينة الكواكب، أو على

= أنها حروف قسم؛ فوقع الفاء في هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد؛ إلا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم.

(١) تقدم.

إضافته إلى المفعول، أي: بأن زان الله الكواكب وحسنها؛ لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها، وأصله ﴿بَزِينَةُ الْكَوَاكِبِ﴾ وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب. وإن أردت الاسم فللاضافة وجهان: أن تقع الكواكب بياناً للزينة؛ لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به، وأن يراد ما زينت به الكواكب. وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: بزينة الكواكب: بضوء الكواكب، ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة؛ كشكل الشريا وبنات نعش والجوزاء، وغير ذلك، ومطالعها ومساييرها. وقرئ على هذا المعنى: «بزينة الكواكب» بتنوين زينة، وجرّ الكواكب على الإبدال، ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من محل بزينة ﴿وَحِفْظًا﴾ مما حمل على المعنى؛ لأنّ المعنى: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] ويجوز أن يقدر الفعل المعقل؛ كأنه قيل: وحفظاً ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ زينها بالكواكب، وقيل: وحفظناها حفظاً. والمارد: الخارج من الطاعة المتملس^(١) منها.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آَلَمٍ أَعْلى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٨) ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ (٩) إِلَّا
مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

الضمير في «لا يسمعون» لكل شيطان، لأنه في معنى الشياطين. وقرئ بالتخفيف والتشديد، وأصله: يتسمعون. والتسمع: تطلب السماع. يقال: تسمع فسمع، أو فلم يسمع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم يتسمعون ولا يسمعون (١٢٧٨)، وبهذا ينصر التخفيف على التشديد. فإن قلت: لا يسمعون كيف اتصل بما قبله؟ قلت: لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان، أو استئنافاً فلا تصح الصفة؛ لأنّ الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له، وكذلك الاستئناف؛ لأنّ سائلاً لو سأل: لم تحفظ من الشياطين؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون: لم يستقم، فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأً اقتصاصاً، لما عليه حال المسترقة للسمع^(٢)، وأنهم لا يقدر أن

١٢٧٨ - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس قال: إنهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون!!

(١) قوله: «من الطاعة المتملس منها» في الصحاح: يقال: انملس من الأمر، إذا أفلت منه. (ع).

(٢) أبطل الزمخشري أن يكون (لا يسمعون) صفة؛ لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له، وأبطل أن يكون أصله لتلا يسمعوا، فحذف اللام وحذفها كثير، ثم حذف أن وأهدر عملها مثل [من الطويل]:

إلا أي هذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي؟

يسمعوا إلى كلام الملائكة، أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك، إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقه؛ فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب. فإن قلت: هل يصح قول من زعم أن أصله: لثلا يسمعون فحذفت اللام؛ كما حذفت في قولك: جتتك أن تكرمني، فبقي ألا يسمعون فحذفت أن وأهدر عملها، كما في قول القائل [من الطويل]:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَخْضَرُ الوَعَى^(١)

قلت: كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب. فإن قلت: أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدث، وسمعت إليه يتحدث، وسمعت حديثه، وإلى حديثه؟ قلت: المعدى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بـإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك و«الملا الأعلى»: الملائكة (١٢٧٩)؛ لأنهم يسكنون السماوات، والإنس والجن: هم الملا الأسفل؛ لأنهم سكان الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الكتبة من الملائكة. وعنه: أشرف الملائكة ﴿وَمِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جميع جوانب السماء من أي جهة صعّدوا للاستراق ﴿دُخُورًا﴾

١٢٧٩ - ذكره السيوطي في الدر (٥/٥١١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي في قوله لا يسمعون إلى الملا الأعلى: قال الملائكة.

= واستبعد اجتماع هذين الحذفين، وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائغاً، ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصاً لما عليه أحوال المسترقة للسمع، قال أحمد: كلا الوجهين مستقيم، والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول: أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه، فحال الشيطان حال كونه محفوظاً منه هي حال كونه لا يسمع، وإحدى الحالين لازمة للأخرى، فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه، وكونه موصوفاً بعدم السماع في حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه، ونظير هذه الآية على هذا التقدير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ فقوله تعالى «مسخرات» حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر. ومعناه مستقيم؛ لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة، فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة، لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك، وما أشار له الزمخشري في هذه الآية قريب من هذا التفسير؛ إلا أنه ذكر معه تأويلاً آخر كالمستشكل لهذا الوجه، فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كعمزق، وجعل المعنى: وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعاً من التسخير، وفيما ذكرناه كفاية، ومن هذا النمط (ثم أرسلنا رسلنا) وهم ما كانوا رسلاً إلا بالإرسال، وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون إلا بالحفظ، وأما الجواب عن إشكاله الثاني فورود حذفين في مثل قوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) وأصله لثلا تضلوا، فحذف اللام و«لا» جميعاً من محلبيهما.

(١) تقدم.

مفعول له؛ أي: ويقذفون للدحور وهو الطرد، أو مدحورين على الحال، أو لأنّ القذف والطرْد متقاربان في المعنى؛ فكأنه قيل: يدحرون أو قذفاً. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على: قذفاً دحوراً طروداً، أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع. والواصب: الدائم، وصب الأمر وصوباً، يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب، وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ﴿مَنْ﴾ في محل الرفع بدل من الواو في «لا يسمعون» أي: لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي ﴿خَطَفَ الْطَّافَةَ﴾ وقرئ: «خطف» بكسر الخاء والطاء وتشديدها، و«خطف» بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها، أصلها: اختطف. وقرئ: «فأتبعه» و«فاتبعه».

﴿فَأَسْتَفِينِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (١١)

الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير، فهي بمعنى الاستفهام في أصلها، فلذلك قيل: ﴿فَأَسْتَفِينِهِمْ﴾ أي: استخبرهم ﴿أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ ولم يقل: فقرّهم، والضمير لمشركي مكة. قيل: نزلت في أبي الأشد بن كلدة، وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ﴿أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ يريد: ما ذكر من خلّاقه: من الملائكة، والسموات والأرض، والمشارق، والكواكب، والشهب الثواقب، والشياطين المردة، وغلب أولي العقل على غيرهم، فقال: «من خلقنا»، والدليل عليه قوله بعد عدّ هذه الأشياء: ﴿فَأَسْتَفِينِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ بالفاء المعقبة. وقوله: ﴿أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ مطلقاً من غير تقييد بالبيان، اكتفاءً ببيان ما تقدّمه، كأنه قال: خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه، فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم الذي خلقناه من ذلك، ويقطع به قراءة من قرأ: «أم من عدنا» بالتخفيف والتشديد. و«أشدّ خلقاً» يحتمل أقوى خلقاً من قولهم: شديد/٢/١٢٦ب الخلق، وفي خلقه شدة، وأصعب خلقاً وأشقّه، على معنى الردّ لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى، وأنّ من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها - كان خلق البشر عليه أهون. وخلقهم ﴿مِن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة؛ لأنّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة، أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب، فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله، حيث قالوا: ﴿أَوِ ذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ [الرعد: ٥]. وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث. وقيل: من خلقنا من الأمم الماضية، وليس هذا القول بملائم. وقرئ: «لازب» و«لاتب» والمعنى واحد، والثاقب: الشديد الإضاءة.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢) ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ (١٣) ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ﴾ (١٤)

«بل عجبت» من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة ﴿و﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ منك ومن

تعجبك ومما تريهم من آثار فطرة الله، أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء: أي: بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أنني عجبت منها، فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي، أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاءه، وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه. فإن قلت: كيف يجوز العجب على الله تعالى، وإنما هو روعة تعترى الإنسان عند استعظامه الشيء، والله تعالى لا يجوز عليه الروعة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن مجرد العجب لمعنى الاستعظام، والثاني: أن يُتخيل العجب ويفرض. وقد جاء في الحديث: «عجب ربكم من ألكم»^(١) وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» (١٢٨٠). وكان شريح يقرأ بالفتح، ويقول: إن الله لا يعجب من شيء، وإنما يعجب من لا يعلم، فقال إبراهيم النخعي: إن شريحاً كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم، يريد عبد الله بن مسعود (١٢٨١)، وكان يقرأ بالضم. وقيل: معناه: قل: يا محمد بل عجبت. ﴿وَإِذَا دُكِّرُوا﴾ ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية، أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥) ﴿أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَآهَا وَعِظْمًا لَهَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١٦) ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ (١٧) ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (١٨) ﴿فَأِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩)

﴿أَوْ أَبَاؤُنَا﴾ معطوف على محل ﴿إِنْ﴾ واسمها، أو على الضمير في «مبعوثون»، والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام. والمعنى: أبعث أيضاً أبأؤنا على زيادة الاستبعاد؛ يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعده وأبطل. وقرئ: «أو أبأؤنا» ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ وقرئ: «نعم» بكسر العين وهما لغتان. وقرئ: «قال نعم» أي: الله تعالى أو الرسول ﷺ. والمعنى: نعم تبعثون ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون ﴿فَأِنَّمَا﴾ جواب شرط مقدر تقديره: إذا كان ذلك فما هي ﴿إِلَّا زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وهي لا ترجع إلى شيء، إنما هي مبهمة موضحها خبرها.

١٢٨٠ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١٧٥/٣)، حديث (١٠٧٣): غريب قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في الغريب عن محمد بن عمرو يرفعه، ثم قال: فقال: الأول رفع الصوت بالدعاء، وقال بعضهم: يرويه الأول، وهو الشدة، انتهى.

١٢٨١ - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٣/٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وأبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة عن شريح، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٨/٢).

(١) قوله: «من ألكم وقنوطكم» الال: يأتي بمعنى السرعة والأتين والفساد. أفاده الصحاح. (ع).

ويجوز: وإنما البعثة زجرة واحدة^(١) وهي النفخة الثانية. والزجرة: الصيحة، من قولك: زجر الراعي الإبل أو الغنم: إذا صاح عليها فريعت لصوته. ومنه قوله [من المنسرح]:

زَجَرَ أَبِي عُرْوَةَ السُّبَاعَ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطَنَّ بِالْعَنَمِ^(٢)
يريد تصويته بها ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياء بصراء ﴿يَنْظُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٢٠) ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢١)

يحتمل أن يكون ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿احشروا﴾ من كلام الكفرة بعضهم مع بعض، وأن يكون من كلام الملائكة لهم، وأن يكون ﴿يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ كلام الكفرة. و ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ من كلام الملائكة جواباً لهم. ويوم الدين: اليوم الذي ندان فيه، أي: نجازي بأعمالنا. ويوم الفصل: يوم القضاء، والفرق بين فرق الهدى والضلالة.

﴿احشروا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى الْبَحِيمِ﴾ (٢٣)
﴿وَقَفُّوهُمْ إِنْتِهَامٌ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥) ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْئِلُونَ﴾ (٢٦)

﴿احشروا﴾ خطاب الله للملائكة، أو خطاب بعضهم مع بعض ﴿وَأَزْجِهِمْ﴾ وضرباءهم عن النبي ﷺ، وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة: أهل الزنا مع أهل الزنا، وأهل السرقة مع أهل السرقة. وقيل: قرناؤهم من الشياطين. وقيل: نساؤهم اللاتي على دينهم ﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾ فعرّفوهم طريق النار حتى يسلكوها؛ هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز. عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْئِلُونَ﴾ (٢٦) قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز، فكلهم مستسلم غير منتصر. وقرئ: «لا تناصرون» و«لا تناصرون»، بالإدغام.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وكثيراً ما يقول هو وابن مالك: إن الضمير يُفسرُهُ خَبْرُهُ. وَوَقَّفَ أبو حاتم على «وَيْلَنَا» وجعل ما بعده من قَوْلِ الْبَارِي تَعَالَى وبعضهم جعل «هَذَا يَوْمُ الدِّينِ» من كلام الكفرة فيقف عليه. وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ من قول الْبَارِي تَعَالَى، وقيل: الجمع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله: «تُكَذِّبُونَ» إما التفاتاً من التكلّم إلى الخطاب وإمّا مخاطبة بعضهم لبعض. انتهى. الدر المصون.

(٢) للنابغة الجعدي. وأبو عروة: كنية العباس عم النبي ﷺ، كانوا يزعمون أنه يصيح بالسباع فينفق مرارة الأسد في جوفه، وروي أن غارة أنتهم يوم حنين فصاح: يا صباحاه فأسقطت الحوامل، وكان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال، وزجره يزجره، إذا صاح بمنعه، أي: كزجر أبي عروة السباع عن الغنم إذا خاف اختلاطهن بها في البادية.

ينظر: ديوان (ص ١٥٨)، لسان العرب (عرا)، تهذيب اللغة (٣/١٦٢).

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْلَا ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْرَضْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما، وكانوا يتيمنون بها، فيها يصفحون ويماسحون ويناولون ويتناولون، ويزاولون أكثر الأمور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك سموها: الشؤمي، كما سموا أختها اليمنى، وتيمنوا بالسائح^(١)، وتطويرا/١٢٧/٢ أ بالبارح، وكان الأعرس معيباً عندهم، وعضدت الشريعة ذلك، فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين، وأراذلها بالشمال، وكان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء (١٢٨٢). وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتاه بشماله، استعيرت لجهة الخير وجانبه، فقليل: أتاه عن اليمين، أي: من قبل الخير وناحيته، فصده عنه وأضله. وجاء في بعض التفاسير: «من أتاه الشيطان من جهة اليمين، أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق، ومن أتاه من جهة الشمال، أتاه من قبل الشهوات، ومن أتاه من بين يديه، أتاه من قبل التكذيب بالقيامة

١٢٨٢ - أخرجه البخاري (٣٢٣/١) كتاب الوضوء: باب التيمن في الوضوء والغسل حديث (١٦٧) وفي (٦٢٣/١) كتاب الصلاة: باب التيمن في دخول المسجد وغيره حديث (٤٢٦) وكتاب الأطعمة: باب التيمن في الأكل وغيره حديث (٥٣٨٠) وكتاب اللباس: باب يبدأ بالنعل اليمنى حديث (٥٨٥٤) وباب الترجيل والتيمن فيه حديث (٥٩٢٦) ومسلم (٢٢٦/١) كتاب الطهارة: باب التيمن في الطهور وغيره حديث (٢٦٨/٦٧) وأبو داود (٤٦٨/٢) كتاب اللباس: باب في الانتعال حديث (٤١٤٠) والتزمذي (٥٠٥/٢ - ٥٠٦) كتاب الصلاة: باب ما يستحب من التيمن في الطهور حديث (٦٠٨) وفي «الشمائل المحمدية» رقم (٣٤) والنسائي (٧٨/١) كتاب الطهارة: باب بأي الرجلين يبدأ بالغسل حديث (١١٢) وفي (٢٠٥/١) كتاب الغسل والتيمم: باب التيمن في الطهور حديث (٤٢١) وفي (١٨٥/٨) كتاب الزينة: باب التيامن في الترجل حديث (٥٢٤٠) وابن ماجه (١٤١/١) كتاب الطهارة: باب التيمن في الوضوء حديث (٤٠١) وأحمد (٩٤/٦، ١٣٠، ١٤٧، ١٧٨، ١٨٨، ٢٠٢، ٢١٠) وأبو عوانة (٢٢٢/١) والطيالسي (١٤١٠) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٢٦١) وابن حبان (٥٤٥٦) والبعقوي في «شرح السنة» (٣١٠/١) - بتحقيقنا كلهم من طريق الأشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أتم من هذا انتهى.

(١) قوله: «وتيمنوا بالسائح» السائح: المار من اليسار إلى اليمين. والبارح عكسه. أفاده الصحاح. (ع).

وبالثواب والعقاب، ومن أتاه من خلفه، خوِّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده؛ فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة». فإن قلت: قولهم: أتاه من جهة الخير وناحيته، مجاز في نفسه، فكيف جعلت اليمين مجازاً عن المجاز؟ قلت: من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق، وهذا من ذلك؛ ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر؛ لأن اليمين موصوفة بالقوة، وبها يقع البطش. والمعنى: أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر، وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه؛ وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم، والغواة لشياطينهم ﴿بَلْ لَّوْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه، مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر، غير ملجئين إليه ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ﴾ من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم ﴿بَلْ كُنْتُمْ تَوَمَّاءَ﴾ مختارين الطغيان ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ فلزنا ﴿قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ يعني: وعيد الله بأننا ذائقون لعذابه لا محالة، لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو، ألا لقال: إنكم لذائقون، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم؛ لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم. ونحوه قول القائل [من الوافر]:

أَلَا زَعَمْتَ هَوَازِنُ قُلِّ مَالِي (١)

ولو حكى قولها لقال: قل مالك، ومنه قول المحلف للحالف: احلف لأخرجن، ولتخرجن؛ الهمزة لحكاية لفظ الحالف، والتاء لإقبال المحلف على المحلف ﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ﴾ فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغيه، لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد ﴿إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا ﴿فَاتَّبَعْتُمْ﴾ فإن الأتباع والمتبعين جميعاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة مشتركون في العذاب؛ كما كانوا مشتركين في الغواية ﴿إِنَّا﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نَفَعَلُ﴾ بكل مجرم، يعني أن سبب العقوبة هو الإجماع، فمن ارتكبه استوجبها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا﴾ سمعوا بكلمة التوحيد، نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك.

﴿وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَتَأْرِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (٢٦) ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٧) ﴿إِن كُنتُمْ﴾

(١) ألا زعمت هوازن قل مالي وهل لي غير ما أنفقت مال؟
أسر به نعم ونعم قديماً على ما كان من مال وبال

ألا استفتاحية، وهوازن: امرأته، وضمن زعمت معنى قالت: فدعاه إلى الجملة، ولو حكى قولها بلفظه لقال: قل مالك، ولكن جاء بياء المتكلم لجواز الحكاية بالمعنى، وهل: استفهام إنكاري، وغير: حال مقدمة، أي: ليس لي مال غير ما أنفقت في المكارم، وأسر به: مبني للمجهول صفة لمال، أي: لا يسرنني غير ما أنفقت، وبين جهة الإنفاق بقوله: نعم ونعم، أي جوابي للسائلين بذلك من قديم الزمان: هو وبال ومضرة على ما كان لي من مال، ويجوز أن أسر مبني للفاعل. ونعم الأولى مفعوله، أي: هل لي مال أسر به من يجاب بنعم، والحال أن نعم وبال على المال، ومهلكة له قديماً، حيث أجيب السائل بها.

لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَمَا تُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

﴿لِإِنَّا عِجَابٌ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ رد على المشركين ﴿وَصَدَقَ الرَّسُولُ﴾؛ كقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقرئ: «لذائقو العذاب»، بانصب على تقدير النون؛ كقوله [من المتقارب]:

وَلَا ذَاكِرَ اللَّئِ إِلَّا قَلِيلًا^(١)

بتقدير التنوين. وقرئ: على الأصل «لذائقون العذاب» ﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما عملتم جزاء سيئاً بعمل سيء.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ هُم رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿فَوَكَهَهُمْ مَّكْرُمُونَ﴾ ﴿فِي جَنَّتِ﴾
 ﴿الْعِيمِ﴾ ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ﴿بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ﴾
 لَا فِيهَا عَوَلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذَفَّرُونَ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
 مَّكْنُونٌ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ ولكن عباد الله، على الاستثناء المنقطع. فسر الرزق المعلوم بالفواكه؛ وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لصحة؛ يعني أن رزقهم كله فواكه؛ لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ، ويجوز أن يراد: رزق معلوم منوعت بخصائص خلق عليها: من طيب طعم، ورائحة، ولذة، وحسن منظر. وقيل: معلوم الوقت، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَيْشًا﴾ [مریم: ٦٢] وعن قتادة: الرزق المعلوم الجنة، وقوله ﴿فِي جَنَّتِ﴾ بآباه، وقوله: ﴿وَهُمْ مَّكْرُمُونَ﴾ هو الذي يقوله وعن العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم، وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم، كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم.

التقابل أتم للسرور وأنس. وقيل: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

ويقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها كأساً، قال [من المتقارب]:
 وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ

(١) تقدم.

(٢) وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أنني امرؤ أتيت المعيشة من بابها

للأعشى، والكأس تطلق على الزجاجة فيها الخمر، وعلى الخمر فيها: مجاز مشهور، وهي مؤنثة =

وعن الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وكذا في تفسير ابن عباس ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾ من شراب معين، أو من نهر معين، وهو الجاري على وجه الأرض، الظاهر للعيون، وصف بما يوصف به الماء؛ لأنه ١٢٧/٢ ب يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ حَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥] ﴿بَيْضَاءَ﴾ صفة للكأس ﴿لَذَّةً﴾ إِمَّا أَنْ توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها، أو هي تأنيث اللذة، يقال: لذ الشيء فهو لذ ولذيذ. ووزنه: فعل، كقولك: رجل طب، قال [من الطويل]:

وَلَذُّ كَطَعْمِ الصُّرْحَدِيِّ تَرَكُّهُ بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ^(١)

يريد النوم. الغول: مِنْ غَالِهِ يَغُولُهُ غَوْلًا، إذا أهلكه وأفسده. ومنه: الغول الذي في تكاذيب العرب. وفي أمثالهم: الغضب غول الحلم، و ﴿يُنَزَّفُونَ﴾ على البناء للمفعول، من نَزَفَ الشَّارِبُ^(٢) إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. ويقال للمطعون: نَزَفَ قَمَاتٍ إذا خرج دمه كله، ونزحت الركبة حتى نزفتها: إذا لم تترك فيها ماء، وفي أمثالهم: «أجبن من المنزوف ضرباً» وقرئ: «ينزفون» من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرايه. قال [من الطويل]:

لَعَمْرِي لَشْنُ أَنْزَفْتُمُو أَوْ صَحَوْتُمُو لَيْبَسَ النَّدَامَى كُنْتُمُو آلَ أَبَجْرَا^(٣)

= دليل تأنيث صفتها وضميرها. يقول: ورب كأس شربتها مع لذة، أو لأجل لذة فضررتي، فشربت كأساً أخرى تداويت من الأولى بها؛ ليعلم الناس أنني مجرب للأمور، وكنت عن ذلك بقوله: أتيت المعيشة من بابها، وشبه المعيشة مع أسبابها المناسبة لها لدار لها باب على طريق المكتبة، وإثبات الباب تخييل، أي: كما داويت الداء من بابه أدرك المعيشة وأحصلها من الأسباب التي تناسبها. ويروى: بدل الشطر الثاني من البيت الأول «دهاق يرنح من ذاقها» ودهقه: كسره وغمزه غمزاً شديداً، وكأس داهق: ممتلئة، ودهاق: مملوءة. وترنح: تميل، لكن هذا من قافية أخرى. ينظر: الدر المصون (٥/٥٠٠).

(١) اللذ: وصف، واللذة: مؤنثة، وهي اسم للكيفية القائمة بالنفس، واسم للشيء اللذيذ. والصرخد: موضع من الشام ينسب إليه الشراب. والحدثنان: مصدر كالحدث، إلا أنه يدل على التجدد والتكرار، يقول: ورب شيء لذيد يعني النوم، طعمه كطعم الشراب الطيب، تركته بأرض الأعداء خوف نزول المكاره بي. ويروى بدل الشطر الثاني «عشية خمس القوم والعين عاشقة» وخمست القوم أخمسهم - بالضم -: أخذت خمس أموالهم. ينظر: لسان العرب (لذذ)، تهذيب اللغة (٤٠٩/١٤)، تاج العروس (لذذ)، مجمل اللغة (٤/٢٤٥)، أساس البلاغة (لذذ).

(٢) قوله: «من نَزَفَ الشَّارِبِ فِي الصَّحَاخِ: نَزَفَ مَاءَ الْبِشْرِ نَزْفًا، إِذَا نَزَحَتْهُ كُلَّهُ. وَنَزَفَتْ هِيَ: يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى.. وَنَزَفَتْ أَيْضًا عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ. (ع).

(٣) للأبيرد. ونزف دمه: خرج منه حتى ضعف وانقطعت حركته. ونزف الرجل في الخصومة: انقطعت حجته، وأنزف: صار ذا نوزف، فنزف وأنزف لازمان. وقوله: لئن أنزفتم، أي سكرتم وبطلت حركتكم، أو انقطع شرايكم، ولبئس الندامى: جواب القسم، وجواب الشرط مثله محذوف، =

ومعناه: صار ذا نرف. ونظيره: أقشع السحاب، وقشعته الريح، وأكب الرجل وكبته، وحقيقتهما: دخلا في القشع والكب. وفي قراءة طلحة بن مصرف: ينزفون: بضم الزاي، من نرف ينزف كقرب يقرب، إذا سكر. والمعنى: لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار^(١) أو عريدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك، ولا هم يسكرون^(٢)، وهو أعظم مفسادها فأفرزه وأفرده بالذكر، ﴿فَصَحَّرْتُ الظَّرْفَ﴾ قصرن أبصارهن على أزواجهن، لا يمددن طرفاً إلى غيرهم، كقوله تعالى: ﴿عَرِيًّا﴾^(٣) [الواقعة: ٣٧] والعين: النجل العيون^(٤) شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي، وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور.

﴿فَأَجَبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْنَ﴾ (٥٥) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٦﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا نَاقَةٌ لَّمْ يَذُبُّكَ وَالْجِبَاحُ مَخْلُوعَةٌ ﴿٥٨﴾ وَأَنْتَ مُطْعَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٠﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٦١﴾ وَلَوْلَا رِجْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٢﴾

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿فَأَجَبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؟ قلت: على يطاق عليهم. والمعنى: يشربون فيتحدثون على الشراب كعادة الشرب^(٥) قال [من الوافر]:
وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا أَحَادِيثُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ^(٦)

- = وأنتم: هو المخصوص بالذم. وآل أبحر: متادى، وفيه نوع من التهكم والاستخفاف بهم.
- ينظر: لسان العرب (نرف)، بلا نسبة من جمهرة اللغة (ص ٨٢١)، خزنة الأدب (٣٨٨/٩)، الدرر (٢١٥/٥)، شرح عمدة الحافظ ص (٧٩٣)، المحتسب (٣٠٨/٢).
- (١) قوله: «في الصحاح: الخمار: بقية السكر». (ع).
- (٢) قوله: «ولا هم يسكرون» لعله: ولا هم عنها يسكرون. (ع).
- (٣) قوله: «كقوله تعالى: عرياً» أي متحيات إلى أزواجهن كما يأتي. (ع).
- (٤) قوله: «النجل العيون» في الصحاح: النجل - بالتحريك: كشف العين. والرجل أنجل، والعين نجلاء، والجمع نجل. وفيه: مدحى النعام: موضع بيضها. وأدحيتها موضعها، وهو أفعول من دحوت؛ لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه اهـ والأداحي: جمعه. (ع).
- (٥) قوله: «كعادة الشرب» جمع شارب، كالصحب جمع صاحب، كذا في الصحاح. (ع).
- (٦) للفرزدق، يقول: وما بقيت لذة من اللذات إلا لذة أحاديث الكرام، أو ما بقيت شهوة من الشهوات اللذيذة إلا أحاديث الكرام على الخمر، وأتى بحرف الاستعلاء؛ لأن الشراب يكون بين أيديهم والحديث من أفواههم فوقه، وكان الظاهر: وما بقي من اللذات، لكن أنت الفعل؛ لأنه مفرغ لما بعد إلا، أو للتأويل المتقدم.
- ينظر: البحر المحيط ٣٦/٧، الدر المصون (٥٠٣/٥).

فيقبل بعضهم على بعض ﴿يَسَاءَ لَوْ﴾ عما جرى لهم وعليهم في الدنيا، إلا أنه جيء به ماضياً على عادة الله في إخباره. قرئ: «من المصدقين»، من التصديق. ومن المصدقين مشدد الصاد، من التصدق، وقيل: نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله، فاحتاج فاستجدي بعض إخوانه؛ فقال: وأين مالك؟ قال: تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة خيراً منه، فقال: أئتتك لمن المصدقين بيوم الدين. أو من المصدقين لطلب الثواب. والله لا أعطيك شيئاً (١٢٨٣) ﴿لَمَدِينُونَ﴾ لمجزيون، من الدين وهو الجزاء. أو لمسوسون مربوبون. يقال: دانه ساسه. ومنه الحديث: «العاقل من دان نفسه» (١٢٨٤). ﴿قَالَ﴾ يعني ذلك القائل: ﴿هَلْ أُنْتُ مُطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لأريكم ذلك القرين. قيل: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار. وقيل: القائل هو الله عز وجل. وقيل: بعض الملائكة يقول لأهل الجنة: هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار. وقرئ: «مطلعون» فاطلع. وفأطلع بالتشديد، على لفظ الماضي والمضارع المنصوب: ومطلعون فاطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع والمنصوب يقال: طلع علينا فلان، واطلع وأطلع بمعنى واحد، والمعنى: هل أنتم مطلعون إلى القرين فاطلع أنا أيضاً. أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه، فاطلع هو بعد ذلك. وإن جعلت الإطلاع من أطلعه غيره، فالمعنى: أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم، وهو من آداب المجالسة. أن لا يستبد بشيء دون جلسائه، فكانهم مطلعوه. وقيل: الخطاب على هذا للملائكة. وقرئ: «مطلعون» بكسر النون، أراد: مطلعون إياي؛ فوضع المتصل موضع المنفصل، كقوله [من الطويل]:

١٢٨٣ - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٩/٢) بمعناه وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٨/٥) وعزاه لعبد الزراق وابن المنذر عن عطاء الخرساني بمعناه وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي بمعناه.

١٢٨٤ - قال الزيلعي (١٧٥/٣)، حديث (١٠٨٥) غريب بهذا اللفظ لكن ورد الحديث بلفظ: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله.

أخرجه الترمذي (٦٣٨/٤) كتاب صفة القيامة باب (٢٥) حديث (٢٤٥٩)، وابن ماجه (١٤٢٣/٢) كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له حديث (٧١٤٣)، وأحمد (١٢٤/٤)، والحاكم (١/٥٧)، وابن المبارك في «الزهد» (ص ٥٦) رقم (١٧١)، والبيهقي (٣٦٩/٣) كتاب الجنائز: باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل، وفي «شعب الإيمان» (٣٥٠/٧) رقم (١٠٥٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٤١/٧) رقم (٧١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٧/١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥٠/١٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٨٥)، كلهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس مرفوعاً وقال الترمذي: حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي فقال: لا والله أبو بكر واه.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وأحمد والبخاري وأبو يعلى والحادث والطبراني كلهم من رواية أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس. انتهى.

هُمُ الْفَاعِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُونَ (١)

أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتأخ بينهما، كأنه قال: تطلعون، وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسطها، يقال: تعبت حتى انقطع سوائي، وعن أبي عبيدة: قال لي عيسى بن عمر: كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي (إن) مخففة من الثقيلة، وهي تدخل على «كاد» كما تدخل على «كان» ونحوه ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢] واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والإرداء: الإهلاك. وفي قراءة عبد الله: لتغوين/ ١٢٨/٢ ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّي﴾ هي العصمة والتوفيق في الاستمسك بعروة الإسلام، والبراءة من قرين السوء. أو إناعم الله تعالى بالثواب وكونه من أهل الجنة ﴿وَمِنَ الْمُحْضَرِّينَ﴾ من الذين أحضروا العذاب كما أحضرت أنت وأمثالك.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ (٥٨) ﴿إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٥٩)

الذي عطف عليه الفاء محذوف، معناه: أنحن مخلدون منعمون، فما نحن بمبتلين ولا معذبين. وقرئ: «بماتنين». والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يدوقوا إلا الموتة الأولى، بخلاف الكفار، فإنهم يتمنون فيه الموت كل ساعة، وقيل لبعض الحكماء: ما شرّ من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٠) ﴿لِيُثِلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١)

يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله واعتباطاً بحاله وبمسمع من قرينه؛ ليكون توبيخاً له يزيد به تعذّباً، وليحكيه الله تعالى فيكون لنا لطفاً وزاجراً. ويجوز أن يكون قولهم جميعاً، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ﴾ أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه. وقيل: هو من قول الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقاً له. وقرئ: «لهو الرزق العظيم»، وهو ما رزقه من السعادة.

(١) هم الفاعلون الخير والأمرون إذا ما خشوا من حادث الدهر معظما

الخير: نصب على المفعولية. ويقال: أمرتك الخير وأمرتك به، فالأمرونه: اسم فاعل متعد للمفعول الثاني بنفسه، وكان حقه الفصل فوصل، وربما كان في البيت أوقع منه في اسم الفاعل المجرد من اللام، وما زائدة: أي إذا خافوا من حادث الدهر أمراً معظماً. ويروى: مفضلاً، أي: مخيفاً فحقه في حرف العين.

ينظر: أمالي ابن الحاجب ١/٣٩١، وخزانة الأدب ٤/٢٦٩، ٢٦٠، والدرر ٦/٢٣٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/١٢٥، والكتاب ١/١٨٨، ولسان العرب (طلع)، (حين)، (ها) وفيه «مفضلاً» مكان «معظماً»، ومجالس ثعلب ١/١٥٠، وجمع الهوامع ٢/١٥٧.

﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (١٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (١٤) ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (١٥) ﴿فَأَنبَهُمْ لِأَكُونَ مِنْهَا فَمَا لُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (١٦) ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ (١٧) ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ﴾ (١٨) ﴿إِنَّهُمْ أَقْوَامٌ ءَابَاءُ هُرِّ صَالِينَ﴾ (١٩) ﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَأْتَرِهِمْ بِهَرَعُونَ﴾ (٢٠)

تمت قصة المؤمن وقرينه، ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: ﴿أَذَلَّكَ﴾ الرزق ﴿خَيْرٌ نُزْلاً﴾ أي خير حاصلاً ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾ وأصل النزول: الفضل والريع في الطعام، يقال: طعام كثير النزول، فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغم، وانتصاب نزلاً على التمييز، ولك أن تجعله حالاً، كما تقول: أثمر النخلة خير بلحاً أم رطباً؟ يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة. وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم، فأيهما خير في كونه نزلاً. والنزل: ما يقال^(١) للنازل بالمكان من الرزق. ومنه إنزال الجند لأرزاقهم، كما يقال لما يقام لساكن الدار: السكن^(٢). ومعنى الأول: أن للرزق المعلوم نزلاً، ولشجرة الزقوم نزلاً، فأيهما خير نزلاً. ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم. ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاء لهم في الدنيا، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر، فكذبوا. وقرئ: «نابتة» ﴿فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها: والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها؛ إما استعارة لفظية، أو معنوية، وشبه برءوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس؛ لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صورته المصورون: جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله، كما أنهم اعتقدوا في المملك أنه خير محض لا شر فيه، فشبها به الصورة الحسنة. قال الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] وهذا تشبيه تخيلي. وقيل: الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جداً. وقيل: إن شجراً يقال له الأستن خشناً منتناً مرأ منكر الصورة، يسمى ثمره: رءوس الشياطين. وما سمت العرب هذا الثمر رءوس الشياطين إلا قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك

(١) قوله: «ما يقال للنازل بالمكان» لعله «ما يقام» كعبارة النسفي. (ع).

(٢) قوله: «لساكن الدار السكن» في الصحاح «السكن»: كل ما سكنت إليه. (ع).

رجع أصلاً ثالثاً يشبه به. ﴿مِنَّا﴾ من الشجرة، أي من طلعتها ﴿فَنَالُوْنَ﴾ بطونهم؛ لما يغلبهم من الجوع الشديد، أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها؛ ليكون باباً من العذاب، فإذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شراباً من غساق أو صديد، شوبه: أي مزاجه ﴿مِنْ جَمِيرٍ﴾ يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم، كما قال في صفة شراب أهل الجنة: ﴿وَمَرَاتُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] وقرئ: «الشوبيا» بالضم، وهو اسم ما يشاب به، والأول تسمية بالمصدر. فإن قلت: ما معنى حرف التراخي في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِمْ لَشَوْبَا﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ﴾؟ قلت: في الأول وجهان، أحدهما: أنهم يملثون البطون من شجرة الزقوم، وهو حارّ يحرق بطونهم ويعطشهم، فلا يسقون إلا بعد مليّ تعذيباً بذلك العطش، ثم يسقون ما هو أحرّ وهو الشراب المشوب بالحميم. والثاني: أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بشم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه. ومعنى الثاني: أنهم يذهب بهم عن مقارنهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدرجات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يتملثوا، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التراخي في ذلك بين، وقرئ: ثم إن منقلبهم، ثم إن مصيرهم، ثم إن منفذهم إلى الجحيم: علل استحقاقهم/٢/١٢٨ ب للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين، واتباعهم إياهم على الضلال، وترك اتباع الدليل، والإهراع: الإسراع الشديد، كأنهم يحشون حثاً. وقيل: إسراع فيه شبه بالردة.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٧٤)

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قومك قريش. ﴿مُنذِرِينَ﴾ أنبياء حذروهم العواقب. ﴿الْمُنذِرِينَ﴾ الذين أنذروا وحذروا، أي أهلكوا جميعاً ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧) ﴿وَوَرَّكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١) ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ (٨٢)

لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين، أتبع ذلك بذكر نوح ودعائه إياه حين أيس من قومه، واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف،

والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره: فوالله لنعم المجيبون نحن. والجمع دليل العظمة والكبرياء. والمعنى: إنا أجبناه أحسن الإجابة، وأوصلها إلى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون. ﴿هُرَّ الْبَاقِينَ﴾ هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم، فقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده. أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة. قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح (١٢٨٥). وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد: سام، وحام، ويافث. فسام أبو العرب، وفارس، والروم، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث أبو الترك وأجوج ومأجوج (١٢٨٦). ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) من الأمم هذه الكلمة، وهي: ﴿سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ﴾ يعني يسلمون عليه تسليماً، ويدعون له، وهو من الكلام المحكي، كقولك: قرأت: ﴿سُورَةَ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١] فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾؟ قلت: معناه الدعاء بشوت هذه التحية فيهم جميعاً، وأن لا يخلو أحد منهم منها، كأنه قيل: ثبت الله التسليم على نوح وأداه في الملائكة والثقلين يسلمون العالمين عليه عن آخرهم. علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسناً، ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً؛ ليريك جلالة محل الإيمان، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم، ويرغبك في تحصيله والازدياد منه.

﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٢) إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِيكُمُ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿مِن شَيْعَةٍ﴾ أي ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعهما. أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين. ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من أهل دينه وعلى سنته (١٢٨٧)، وما كان

١٢٨٥ - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٠/٢) عن قتادة: قال: ترك الله عليه ثناء حسناً في الآخرة. وابن جرير الطبري (٤٩٨/١٠)، حديث (٢٩٤٢٤)، وذكره السيوطي في الدر (٥٢٤/٥)، وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق والطبري وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة: قال: فالتاس كلهم من ذرية نوح.

١٢٨٦ - أخرجه البزار (١١٨/١) (كشف)، حديث (٢١٨) عن أبي هريرة، وذكره السيوطي في الدر (٥/٥٢٤)، وعزاه للبزار وابن أبي حاتم والخطيب، عن أبي هريرة، وذكر فيه: وولد يافث بأجوج ومأجوج: مرفوعاً.

١٢٨٧ - ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٢٥/٥)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس قال من أهل ذريته.

بين نوح وإبراهيم إلا نبيان: هود وصالح، وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة. فإن قلت: بم تعلق الظرف؟ قلت: بما في الشيعة من معنى المشايعة، يعني: وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه^(١) بقلب سليم لإبراهيم، أو بمحذوف وهو: اذكر ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من جميع آفات القلوب. وقيل: من الشرك، ولا معنى للتخصيص؛ لأنه مطلق، فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها. فإن قلت: ما معنى المجيء بقلبه ربه؟ قلت: معناه أنه أخلص لله قلبه، وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلاً لذلك. ﴿إِنفِكَ﴾ مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً، وإنما قدم المفعول على الفعل للناية، وقدم المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون (إفكاً) مفعولاً به، يعني: أتريدون به إفكاً. ثم فسر الإفك بقوله: ﴿آلهة من دون الله﴾ على أنها إفك في أنفسها. ويجوز أن يكون حالاً، بمعنى: أتريدون آلهة من دون الله أفكين ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة؛ لأن من كان رباً للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه، حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام: والمعنى: أنه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته. أو فما ظنكم به أي شيء هو من الأشياء، حتى جعلتم الأصنام له أنداداً؟ أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره؟.

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُوحُوا عَنْهُ مُذَرِّينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿فِي النُّجُومِ﴾ في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها، وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه، فقال: حبيب أنظر إليه، ومحتاج أنظر له، وكتاب أنظر فيه. كان القوم نجامين، فأوهمهم أنه استدل بأماره في علم النجوم على أنه يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ إني مشارف للسقم وهو الطاعون، وكان أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون العدوى؛ ليتفرقوا عنه، فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد، ففعل ١٢٩ / ٢ بالآصنام ما فعل. فإن قلت: كيف جاز له أن يكذب؟ قلت: قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية، وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين. والصحيح: أن الكذب حرام إلا إذا عرّض وورى، والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: لا يجوز؛ لأن فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو «إبراهيم»؛ لأنه أجنبي من «شيعته» ومن «إذ» وزاد المنع إن قدره ممن شايعه حين جاء إبراهيم؛ لأنه قدر ممن شايعه فجعل العامل قبله صلة لموصول وقُصِّلَ بينه وبين إذ بأجنبي وهو إبراهيم؛ وأيضاً فلام الابتداء تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت إن ضارباً لقادم علينا زيدا تقديره إن زيدا قادم علينا لم يجز، انتهى. الدر المصون.

من الكلام، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم. ومنه المثل: كفى بالسلامة داء. وقول لبيد [من الكامل]:

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ ذَاءٌ^(١)

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا: مات وهو صحيح، فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه. وقيل: أراد: إني سقيم النفس لكفركم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَطْفُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ﴾ فذهب إليها في خفية، من روغة الثعلب، إلى آلهم: إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة، كقوله تعالى: ﴿أَنْ شُرَكَاءَك﴾ [النحل: ٢٧]. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ أَمَا لَكُمْ لَا نَطْفُونَ﴾ استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبادتها ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ فأقبل عليهم مستخفياً، كأنه قال: فضربهم ﴿ضَرْبًا﴾ لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم. أو فراغ عليهم يضربهم ضرباً. أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى ضارباً. وقرئ: «صفقا» و «سفقاً»، ومعناهما: الضرب. ومعنى ضرباً ﴿بِالْيَمِينِ﴾ ضرباً شديداً قوياً؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما. وقيل: بالقوة والمتانة، وقيل: بسبب الحلف، وهو قوله: ﴿وَتَأَلَّفَ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَعُكُمْ﴾.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿يَزْفُونَ﴾ يسرعون، من زيف النعام. ويَزْفُونَ: من أزَفَ، إذا دخل في الزيف. أو من أزفه، إذا حملة على الزيف، أي: يزف بعضهم بعضاً. ويَزْفُونَ، على البناء للمفعول، أي: يحملون على الزيف. ويَزْفُونَ، من وزف يزف إذا أسرع. ويَزْفُونَ: من زفاه إذا حداه^(٢)، كأن بعضهم يزفو بعضاً لتسارعهم إليه، فإن قلت: بين هذا وبين قوله تعالى:

(١) كانت قناتي لا تليّن لغامز
فألأنها الإصباح والإمساء
فدعوت ربي بالسلامة جاهداً
ليصححني فإذا السلامة داء

للبيد بن ربيعة العامري، والقناة: الرمح، استعارها لإقامته أو قوته على طريق التصريح، والليونة والغمز: ترشيح. والغمزي: الحبي باليد. ويجوز أن الاستعارة تمثيلية في المركب، يصف قوته زمن الشباب، ثم ضعف حال المشيب بتتابع الأزمان عليه، وأنه تطلب فسحة الأجل، فكانت سبب اضمحلاله.

وهو للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص ٤٠٠، وللبيد بن ربيعة في نهاية الأرب ٣/ ٧٠، ولعمرو بن قميثة في ملحق ديوانه ص ٢٠٤، وزهر الآداب ١/ ٢٢٣، ولبعض شعراء الجاهلية في الكامل ١/ ٢٨٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٥، وكتاب الصناعتين ص ٣٨، وقبله في هذه المصادر.

(٢) قوله: «إذا حداه» أي ساقه. أفاده الصحاح. (ع).

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِزْهِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾
 [الأنبياء: ٥٩ - ٦٠] كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى، فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به، وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر، حتى قيل لهم: سمعنا إبراهيم يذمهم، فلعله هو الكاسر؛ ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها، وفي الآخر: أنهم استدلوا بدمه على أنه الكاسر. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفرأ منهم دون جمهورهم وكبرائهم، فلما رجع الجمهور والعلية^(١) من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك، وسألوا: من فعل هذا بها؟ ثم لم ينم عليه أولئك النفر نائمة صريحة، ولكن على سبيل التورية التعريض بقولهم ﴿سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ﴾ لبعض الصوارف. والثاني: أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد، ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر. وقولهم: ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام، كقوله: ﴿بَلْ زَكَّوْا رَبًّا لَشَرِّتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرْتُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٦] أي فطر الأصنام، فإن قلت: كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله معمولاً لهم، حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جسيماً؟ قلت: هذا كما يقال: عمل النجار الباب^(٢) والكرسي، وعمل الصائغ السوار والخلخال،

(١) قوله: «والعلية» أي العظمة. (ع).

(٢) قال محمود: «يعني خلقكم وما تعملون من الأصنام، كقوله: (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) فإن قلت: كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله تعالى معمولاً لهم؟ وأجاب بأن هذا كما يقال: عمل النجار الباب... إلى أن قال: ... وفي ذلك فك للنظم وتبتيير كما لو جعلتها مصدرية» اه كلامه. قال أحمد: إذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل، فنقول: يتعين حملها على المصدرية، وذلك أنهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة، فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها، ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر، فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم، ففي الحقيقة أنهم عبدوا عملهم، وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله، مع أن المعبود كسب العابد وعمله، فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه، فإذا أثبت ذلك فليستح كلامه بالإبطال. أما قوله: إنها موصولة، وأن المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر، فإنه مفتقر إلى حذف مضاف في موضع اليأس يكون تقديره: والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته، بخلاف توجيه أهل السنة، فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة، ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهري، فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد، مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم؟ فما هو من عملهم =

والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها، والأصنام جواهر وأشكال، فخالق جواهرها الله، وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها، حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه. فإن قلت: فما أنكرت^(١) أن تكون ما مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، كما تقول المجبرة^(٢)؟ قلت: أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب، أن معنى الآية ياباه إباء جلياً، وينبو عنه نبواً ظاهراً، وذلك أن الله عزّ وجلّ قد احتج عليهم بأنّ العابد والمعبود جميعاً خلق الله، فكيف يعبد المخلوق المخلوق؟ على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله، ولولاه لما قدر أن يصوّر نفسه ويشكلها، ولو قلت: والله خلقكم وخلق عملكم ولم يكن محتجاً عليهم^(٣) ولا كان لكلامك طباق. وشيء آخر: وهو أن قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿مَا تَنْجُونُ﴾ و (ما) في ﴿مَا تَنْجُونُ﴾ موصولة لا مقال فيها، فلا يعدل بها عن أختها إلاّ متعسف متعصب لمذهبه، من غير نظر في علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن. فإن قلت: اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت، وأريد: وما تعملونه من أعمالكم. قلت: بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلاّ الإذعان للحق، وذلك

= وهو الشكل ليس معبوداً لهم على هذا التأويل، وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم، فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد، وعلى ما قررناه يتضح. وأما قوله: إن المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح، فإن لنا أن نحمل الأولى على أنها مصدرية وأنهم في الحقيقة إنما عبدوا نحتهم؛ لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها، فلما عملوا فيها النحت عبدوها، ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم، فالمطابقة إذاً حاصلة، والإلزام على هذا أبلغ وأمتن، ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة، ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله: (والله خلقكم وما تعملون) بأن يقولوا: لا ولا كرامة، ولا يخلق الله ما نعمل نحن، لأننا إنما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله، وكانوا يجدون الذريعة إلى اقتحام الحجة، ويأبى الله إلا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الأكاذيب الفارغة، فهذا إلزام بل إلجام لمن خالف السنة، وغل بعنقه، وعقر بكتفه، وضرب على يده، حتى يرجع إلى الحق آيياً، ويعترف بخطئه تابياً.

(١) قوله: «فإن قلت فما أنكرت؟ لعله: لم أنكرت. (ع).

(٢) قوله: «كما تقول المجبرة» يريد أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه لا خالق إلاّ الله، فهو الخالق لعمل العبد، والمعتزلة يقولون: إن العبد هو الخالق لعمل نفسه، فجعلا العبد شريكاً لله في الخالقية، مع أنهم سمو أنفسهم أهل العدل والتوحيد، قالوا: لو كان الله هو الخالق لفعل العبد لكان تعذيبه للعبد على المعاصي ظلماً لا عدلاً. قال أهل السنة: يعذبه عليها كما يشبهه على الطاعة؛ لما له فيهما من الكسب والاختيار، فلا ظلم، لكن المعتزلة لم ينظروا في التوحيد تمام النظر، ولم يتصوروا في أدلته تمام التبصر. (ع).

(٣) قوله: «لم يكن محتجاً عليهم» يكفي في الاحتجاج أن الله هو الخالق لهم ولأعمالهم في الأصنام وغيرها، والأصنام لا تخلق شيئاً، بل الانفراد بالخالقية أدل على الانفراد بالإلهية. (ع).

أنك وإن جعلتها موصولة، فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين، كحالك وقد جعلتها مصدرية، وأيضاً فإنك قاطع بذلك الصلة بين ما تعملون وما تنتحون، حيث تخالف بين المرادين بهما؛ ١٢٩/٢ ب فتريد بما تنتحون: الأعيان التي هي الأصنام، وبما تعملون: المعاني التي هي الأعمال؛ وفي ذلك فك النظم وتبتيه، كما إذا جعلتها مصدرية.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة الوقود، وقيل: كل نار على نار وجمر فوق جمر، فهي جحيم. والمعنى: أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعاً، وأذلهم بين يديه: أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر، وقهرهم فمالوا إلى المكر، فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدرُوا عليه.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ

حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

أراد بذهابه إلى ربه: مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام، كما قال إني مهاجر إلى ربي ﴿[العنكبوت: ٢٦]﴾ سَيِّدِينَ ﴿سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويعصمني ويوقني، كما قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الشعراء: ٦٢] كان الله وعده وقال له: سأهديك، فأجرى كلامه على سنن موعد ربه. أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده. أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله. ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]. ﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ هب لي بعض الصالحين، يريد الولد؛ لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا إِسْحَاقَ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٣] قال عز وجل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم - حين هنأه بولده علي بن أبي الأملأك -: «شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب» ولذلك وقعت التسمية بهبة الله، وبموهوب، ووهب، وموهب، وقد انطوت البشارة على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليماً، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، ثم استسلم لذلك. وقيل: ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم؛ وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥] لأن الحادثة شهدت بحلمها جميعاً.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأَبَّتُ
أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِرِينَ ﴿١١٢﴾﴾

فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. فإن قلت: ﴿مَعَهُ﴾ بم يتعلق؟ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ، أو بالسعي، أو بمحذوف، فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معاً حد السعي، ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه، فبقي أن يكون بياناً، كأنه لما قال: فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل: مع من؟ فقال مع أبيه. والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به، وأعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله؛ لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة. والمراد: أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة، كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم، أتى في المنام فقيل له: اذبح ابنك، ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة؛ فلهذا قال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ فذكر تأويل الرؤيا، كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة: رأيت في المنام أنني ناج من هذه المحنة، وقيل: رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح، أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان؟ فمن ثم سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى مثل ذلك، فعرف أنه من الله، فمن ثم سمي يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره فسمي يوم النحر. وقيل: إن الملائكة حين بشرته بغلام حلیم قال: هو إذن ذبيح الله. فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له: أوف بندرك ﴿فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي على وجه المشاورة. وقرئ: «ماذا ترى»^(١)، أي: ماذا تبصر من رأيك وتبديه. وماذا ترى، على البناء للمفعول: أي: ماذا تريك نفسك من الرأي ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي ما تؤمر به، فحذف الجار كما حذف من قوله [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الْحَيِّرَ فَاَفْعَلُ مَا أُمِرْتُ بِهِ

أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول، وتسمية الأمور به أمراً. وقرئ: «ما تؤمر به» فإن قلت: لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ قلت: لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته، ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله؛ فيثبت قدمه ويصبره إن جزع، ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم؛ وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها، ويلقى

(١) قوله: «وقرئ ماذا ترى» لعله بضم التاء وكسر الراء، من أراه يريه، فليحجر. (ع).

(٢) تقدم.

البلاء وهو/٢/١٣٠ كالمستأنس به، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله؛ ولأن المغافصة^(١) بالذبح مما يستسمح، وليكون سنة في المشاورة، فقد قيل: لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك. فإن قلت: لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة؟ قلت: كما أرى يوسف عليه السلام سجد أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه، وكما وعد رسول الله ﷺ دخول المسجد الحرام في المنام، وما سوى ذلك من منامات الأنبياء؛ وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين؛ لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمَ لِلْجِبِينِ ﴿١٢٦﴾ وَتَدْبِئْتَهُ أَنْ يَتَابَرَهَيْمُ ﴿١٢٧﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّكَ هَذَا لَمَوْ أَلْبَتُوا الْمِيْنَ ﴿١٢٩﴾ وَتَدْبِئْتَهُ بِذَنْبِ عَظِيمٍ ﴿١٣٠﴾ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣١﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِتْرَهِيمَ ﴿١٣٢﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

يقال: سلم لأمر الله وأسلم، واستسلم بمعنى واحد. وقد قرئ بهن جميعاً إذا انقاد له وخضع، وأصلها من قولك: سلم هذا لفلان إذا خلص له. ومعناه: سلم من أن ينازع فيه، وقولهم: سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه، وحقيقة معناه: أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة، وكذلك معنى: استسلم: استخلص نفسه لله. وعن قتادة في: ﴿أَسْلَمَا﴾ أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (١٢٨٨) ﴿وَتَلَّمَ لِلْجِبِينِ﴾ صرعه على شقه، فوقع أحد جبينيهِ على الأرض، تواضعا^(٢) على مباشرة الأمر بصبر وجلد؛ ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان. وروي أن ذلك كان عند الصخرة التي بمنى، وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منى. وعن الضحاك: في المنحر الذي ينحرف فيه اليوم. فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف تقديره: فلما أسلما وتله للجبيين ﴿وَتَدْبِئْتَهُ أَنْ يَتَابَرَهَيْمُ﴾ ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾ كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما، وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض

١٢٨٨ - أخرجه الطبري (٥٠٨/١٠)، حديث (٢٩٤٨١).

(١) قوله: «المغافصة» في الصحاح: غافست الرجل، أي: أخذته على غرة. (ع).

(٢) قوله: «تواضعا على مباشرة الأمر» أي توفقا. (ع).

ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب، وقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥١) تعليلاً لتحويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة، والظفر بالبغية بعد اليأس ﴿أَلَبَتُوا آلِيَيْنَ﴾ الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم. أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها. الذبيح: اسم ما يذبح. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الكيش الذي قرّبه هايل فقبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل (١٢٨٩). وعن الحسن: فدى بوعل^(١) أهبط عليه من ثبير (١٢٩٠). وعن ابن عباس: لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (١٢٩١) ﴿عظيم﴾ ضخم الجثة سمين، وهي السنة في الأضاحي. وقوله عليه السلام: «استشرفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم» (١٢٩٢) وقيل: لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم. وروي أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه، فبقيت سنة في الرمي، وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده. وروي أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم عليه السلام: الله أكبر والله الحمد، فبقي سنة، وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال: يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب، فلما توسط شعب ثبير أخبره بما أمر. فقال له اشدد رباطي لا أضطرب، واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي حتى تجهز عليّ؛ ليكون أهون فإنّ الموت شديد، وقرأ على أمي سلامي، وإن رأيت أن تردّ قميصي على أمي فافعل؛ فإنه عسى أن يكون أسهل لها، فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه، وهما يبكيان، ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل؛ لأنّ الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه، فقال له: كبني على وجهي فإنك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدرتلك رقة تحول بينك وبين أمر الله، ففعل، ثم وضع السكين على قفاه

- ١٢٨٩ - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٣٤)، وعزاه لابن أبي شيبة والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
- ١٢٩٠ - أخرجه الطبري (١٠/٥١٦)، حديث (٢٩٥٤٩) عن الحسن بلفظ ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير.
- ١٢٩١ - ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف، حديث (٣/١٧٦)، حديث (١٠٨٦) وقال الحافظ: لم أجده.
- ١٢٩٢ - ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/١٧٦)، حديث (١٠٨٧) وقال: غريب.
- وأخرجه الديلمي في الفردوس (١/١١٩)، حديث (٢٦٧) عن ابن عباس. وقال الحافظ: لم أجده.

(١) قوله «بوعل» في الصحاح: الوعل: الأروى اهـ، ويقال: التيس الجبلي. (ع).

فانقلب السكين، ونودي: يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، فنظر فإذا جبريل عليه السلام معه كيش أقرن أملح، فكبر جبريل والكبش، وإبراهيم وابنه، وأتى المنحرف من منى فذبحه. وقيل: لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج. وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده: أنه يلزمه ذبح شاة، فإن قلت: من كان الذبيح من ولديه؟ قلت: قد اختلف فيه؛ فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين: أنه إسماعيل. والحجة فيه: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين (١٢٩٣)» وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين، فتبسم، فسئل عن ذلك فقال: «إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله: لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده، فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل، والثاني إسماعيل» (١٢٩٤) وعن محمد بن كعب القرظي قال: كان مجتهد بني إسرائيل يقول إذا دعا: اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل، فقال موسى عليه السلام: يا رب، ما لمجتهد بني إسرائيل إذا دعا قال: اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل، وأنا بين ١٣٠/٢ ب أظهرهم، فقد أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك؟ قال: يا موسى، لم يحبني أحد حب إبراهيم قط، ولا خيّر بيني وبين شيء قط إلا اختارني. وأما إسماعيل فإنه جاد بدم نفسه. وأما إسرائيل فإنه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط (١٢٩٥)، ويدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال: ﴿وَبَشِّرْنَهُ بِنَبَأٍ﴾ [الصفوات: ١١٢] وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز: هو إسماعيل، فقال عمر: إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى يهودي قد أسلم فسأله. فقال: إن اليهود لتعلم أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب (١٢٩٦)، ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت. وعن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعي أين عزب عنك

١٢٩٣ - ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٧٧/٣)، حديث (١٠٨٩) وقال: غريب، وببيض له ابن حجر.

١٢٩٤ - أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٥٤/٢) في كتاب التاريخ والطبري (٥١٤/١٠)، حديث (٢٩٥٣٠)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١٧٨/٣)، حديث (١٠٩٠) وزاد نسبه لابن مرويه.

قال الحافظ: أخرجه الحاكم والشعبي من رواية الضاحي عن معاوية رضي الله عنه وفيه قصة انتهى. ط

١٢٩٥ - أخرجه الطبري (٥١١/١٠)، حديث (٢٩٥٠٠) عن عبد الله بن عمير قال موسى: يا رب يقولون إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب...

١٢٩٦ - أخرجه الطبري (٥١٤/١٠) جامع البيان، حديث (٢٩٥٢٩)، وذكره السيوطي في تفسيره الدر (٥٣٠/٥) وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير.

عقلك؟ ومتى كان إسحاق؟ بمكة، وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه، والمنحدر بمكة، ومما يدلّ عليه أنّ الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق في قوله: ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به، ولأنّ الله بشره بإسحاق وولده يعقوب في قوله: ﴿فَصَحَّكَتْ فَبَشَّرَئِنَّهَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفاً للموعد في يعقوب، وعن علي بن أبي طالب (١٢٩٧) وابن مسعود (١٢٩٨) والعباس (١٢٩٩) وعطاء وعكرمة (١٣٠٠) وجماعة من التابعين: أنه إسحاق. والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوهبه ولداً، ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حلیم، ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به. ويدلّ عليه كتاب يعقوب إلى يوسف: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله (١٣٠١). فإن قلت: قد أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح، وقيل له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، وإنما كان يصدقها لو صحّ منه الذبح، ولم يصحّ^(١) قلت:

١٢٩٧ - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٢/٢)، وسعيد بن منصور، وذكره السيوطي (٥٣١/٥) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن علي.
 ١٢٩٨ - أخرجه عبد الرزاق (١٥٢/٢)، والحاكم في المستدرک (٥٥٩/٢)، وذكره السيوطي في الدر (٥/٥٣١) وعزاه لعبد الرزاق والحاكم عن ابن مسعود.
 ١٢٩٩ - أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٠/١٠)، حديث (٢٩٤٩١)، (٢٩٤٩٥) وذكره السيوطي في الدر (٥٣١/٥) وعزاه لعبد بن حميد، والبخاري في تاريخه والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مرويه عن العباس.
 ١٣٠٠ - أخرجه الطبري (٥١٠/١٠)، حديث (٢٩٤٩٣) عن عكرمة عن ابن عباس والحاكم (٥٥٨/٢): كتاب التاريخ.

وعزاه السيوطي في الدر (٥٣١/٥) للفرابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والطبري والحاكم.
 ١٣٠١ - قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الترمذي في النوادر في الحادي والعشرين بعد المائتين: حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا عصام بن المشي الحمصي عن أبيه عن وهب بن منبه قال: كتب يعقوب كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب نبي الله إلى آخره وأخرج الدارقطني في غرائب مالك من رواية إسحاق بن وهب الطوسي عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه: أوحى إلى ملك الموت أن ائت يعقوب فسلم عليه فذكر الحديث - وفيه فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإننا أهل بيت فذكره مطولاً قال الدارقطني: هذا موضوع وإسحاق يضع الحديث على ابن وهب وقد تقدم في يوسف من وجه آخر، انتهى.

(١) قال محمود: «فإن قلت: قد أوحى إلى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح، وقيل له: قد =

قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح: من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً، بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل، ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه. فإن قلت: الله تعالى هو المفتدى منه؛ لأنه الأمر بالذبح، فكيف يكون فادياً حتى قال: ﴿وَقَدَّيْنَهُ﴾؟ قلت: الفادي هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وإنما قال: ﴿وَقَدَّيْنَهُ﴾ إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهيته. فإن قلت: فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح. فما معنى الفداء، والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل؟ قلت: قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فري الأوداج وإنهار الدم، فوهب الله له الكبش ليقوم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل، ولكن في نفس الكبش بدلاً منه. فإن قلت: فأى فائدة في تحصيل تلك الحقيقة، وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان؟ قلت: الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمندور وإيجاد المأمور به من كل وجه. فإن قلت: لم قيل

= صدقت الرؤيا، وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح، ولم يصح. فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم، ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام عليه. انتهى كلامه قال أحمد: كل ما ذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل، وتلك قاعدة المعتزلة. وأما أهل السنة فيثبتون جوازه؛ لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل، فجاز رفعه كالموت. وأيضاً فكل نسخ كذلك؛ لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة، ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية. ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل (افعل ما تؤمر) ونسخ قبل التمكن بدليل العدول إلى الفداء، فمن ثم تحوم الزمخشري على أنه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، وإنما امتنعت بأمر من الله تعالى، وغرضه بذلك أحد أمرين: إما أن يكون الأمر إنما توجه عليه بمقدمات الذبح، وقد حصلت لا بنفس الذبح، أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه، ولكن لم يتمكن. وكلا الأمرين لا يخلصه. أما قوله: أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله: (إني أرى في المنام أنني أذبحك) وقوله: (افعل ما تؤمر) وأما قوله: لم يتمكن لأن الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح، فحاصله أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به، فكان النسخ إذاً قبل التمكن، وهو عين ما أنكره المعتزلة، ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم خلاص لجا بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح، ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم، وهو باطل لا ثبوت له، وسياق الآية يخل دعواه ويفل ثنيه.

هنا ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ وفي غيرها من القصص: إنا كذلك؟ قلت: قد سبقه في هذه القصة: ﴿إنا كذلك﴾، فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية.

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ وَوَكَّرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٧﴾

﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدره، كقوله تعالى: ﴿فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. فإن قلت: فرق بين هذا وبين قوله: ﴿فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول، والخلود غير موجود معهما، فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيماً، وليس كذلك المبشر به، فإنه معدوم وقت وجود البشارة، وعدم المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة؛ لأن الحال حلية، والحلية لا تقوم إلا بالمحلى، وهذا المبشر به الذي هو إسحاق حين وجد لن توجد النبوة أيضاً بوجوده، بل تراخت عنه مدة متطاولة، فكيف يجعل نبياً حالاً مقدره، والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به؛ فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة، فتقديرها^(١) صفتهم؛ لأن المعنى مقدرين الخلود، وليس كذلك النبوة؛ فإنه لا سبيل إلى أن تكون موجودة أو مقدره وقت وجود البشارة بإسحاق لعدم إسحاق. قلت: ١٣١/٢: هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك، والذي يحل الإشكال: أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف، وذلك قولك: وبشرناه بوجود إسحاق نبياً، أي بأن يوجد مقدره نبوته؛ فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، وبذلك يرجع، نظير قوله تعالى: ﴿فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ حال ثانية، وورودها على سبيل الثناء والتقريض؛ لأن كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين. وعن قتادة: بشره الله بنبوة إسحاق بعد ما امتحنه بذبحه (١٣٠٢)، وهذا جواب من يقول: الذبيح إسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ قالوا: ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معاً؛ لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبياً ﴿وَوَكَّرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ وقرئ: «وَبَرَكْنَا» أي: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، كقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وقيل: باركنا على إبراهيم في أولاده، وعلى إسحاق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه. وقوله: ﴿وَوَطَّأ إِلَيْهِ لِنَفْسِهِ﴾ نظيره: ﴿قَالَ وَمِن دُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

١٣٠٢ - أخرجه الطبري (٥١٨/١٠)، حديث (٢٩٥٥٦).

(١) قوله: «فتقديرها صفتهم» لعله: فتقديره. (ع).

الظَّالِمِينَ ﴿البقرة: ١٢٤﴾ وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر، فقد يلد البر الفاجر، والفاجر البر. وهذا مما يهدم أمر الطبايع والعناصر، وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما يعيب ولا نقیصة، وأن المرء يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يده، لا على ما وجد من أصله أو فرعه.

﴿وَلَقَدْ مَنَعْنَا عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَصَرَّفْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا لِيْنَهُمَا الْكُتُبَ الْمُنْتَسَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ من الغرق. أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم^(١).
 ﴿وَصَرَّفْنَاهُمْ﴾ الضمير لهما ولقومهما في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا﴾. ﴿الْكَتُبَ الْمُنْتَسَبِينَ﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة، كما قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ومن جوز أن تكون التوراة عربية أن تشتق^(٢) من وري الزند «فوعلة» منه، على أن التاء مبدلة من واو. ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط أهل الإسلام، وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١٢٤﴾ أَلَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ خَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولُوا إِنْ أَنَا إِلَّا عِبَادٌ فَتَعَالَىٰ لَكُمْ إِلَهُكُمْ وَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قري: «إلياس» بكسر الهمزة، والياس: على لفظ الوصل. وقيل: هو إدريس النبي. وقرأ ابن مسعود: «وإن إدريس»، في موضع إلياس. وقري: «إدرا»، وقيل: هو إلياس بن ياسين، من ولد هارون أخي موسى ﴿أَلَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعبدون بعلاً، وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل. وقيل: كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة أوجه، فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمئة سادن، وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس، وهم أهل بعلك

(١) قوله: «وغشمهم» في الصحاح «الغشم»: الظلم. (ع).

(٢) قوله: «أن تشتق» لعله: يجوز أن تشتق. (ع).

من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك. وقيل: البعل: الرب، بلغة اليمن، يقال: من بعل هذه الدار، أي: من ربه؟ والمعنى: أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ﴾ قرئ: بالرفع على الابتداء، وبالنصب على البدل، وكان حمزة إذا وصل نصب، وإذا وقف رفع، وقرئ: على الياسين. وإدرسين. وإدراسين. وادرسين، على أنها لغات في إلياس وإدريس. ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى. وقرئ: «على الياسين» بالوصل، على أنه جمع يراد به إلياس وقومه، كقولهم: الخبييون والمهلبون. فإن قلت: فهلا حملت على هذا إلياسين على القطع وأخواته؟ قلت: لو كان جمعاً لعرف بالألف واللام. وأما من قرأ: «على آل ياسين» فعلى أن ياسين اسم أبي إلياس، أضيف إليه الآل.

﴿وَإِنَّ لَوْلَا لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ بَيَّنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْعَدَرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّكُمْ لَنُمرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْحِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْوَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿مُصْحِحِينَ﴾ داخلين في الصباح، يعني: تمرون على منازلهم في متاجرکم إلى الشام ليلاً ونهاراً، فما فيكم عقول تعتبرون بها.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَامْتَوَا فَمَتَّعْنَاهُمُ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

قرئ: «يونس» بضم النون وكسرهما. وسمي هربه من قومه بغير إذن ربه: إباقا على طريقة المجاز. والمساهمة: المقارعة. ويقال: استهم القوم، إذا اقترعوا. والمدحض: المغلوب المقروع. وحقيقته: المزلق/٢/١٣١ ب عن مقام الظفر والغلبة. روي: أنه حين ركب في السفينة وفتت، فقالوا: ههنا عبد أبى من سيده، وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها أبى لم تجر، فاقترعوا، فخرجت القرعة على يونس، فقال: أنا الآبق، وزج بنفسه في الماء ﴿فَالْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخل في الملامة. يقال: رب لائم مليم، أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم. وقرئ: «مليم» بفتح الميم، من ليم فهو مليم، كما جاء: مشيب في مشوب، مبنياً على شيب. ونحوه: مدعي، بناء على دعى. ﴿هِيَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتقديس. وقيل: هو قوله في بطن الحوت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقيل: من المصلين. وعن ابن عباس:

كل تسبيح في القرآن فهو صلاة (١٣٠٣). وعن قتادة: كان كثير الصلاة في الرخاء (١٣٠٤). قال: وكان يقال: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، وإذا صرع وجد متكأ. وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله، وإقباله على عبادته، وجمع همه لتقيد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة؛ لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِي﴾ الظاهر لبثه فيه حياً إلى يوم البعث. وعن قتادة: لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة (١٣٠٥). وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت: إني جعلت بطنك له سجناً، ولم أجعله لك طعاماً. واختلف في مقدار لبثه، فعن الكلبي: أربعون يوماً، وعن الضحاك: عشرون يوماً. وعن عطاء: سبعة. وعن بعضهم: ثلاثة. وعن الحسن: لم يلبث إلا قليلاً، ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه. وروي: أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح، ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر، فلفظه سالمًا لم يتغير منه شيء، فأسلموا، وروي: أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل. والعراء: المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ اعتل مما حل به، وروي: أنه عاد بدنه كبذن الصبي حين يولد. واليقتين: كل ما ينسرح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل، وهو «يفعل» من قطن بالمكان إذا قام به. وقيل: هو الدباء. وفائدة الدباء: أن الذباب لا يجتمع عنده. وقيل لرسول الله ﷺ: إنك لتحب القرع، قال: «أجل هي شجرة أخي يونس» (١٣٠٦) وقيل: هي التين، وقيل: شجرة الموز، تغطي بورقها، واستظل بأغصانها، وأفطر على ثمارها. وقيل: كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة^(١) تختلف إليه، فيشرب من لبنها.

١٣٠٣ - أخرجه الطبري (٢٠٨/٩)، وعبد الرزاق في تفسيره (١٨٢/٢) في تفسيره: «بالعشي والإبكار» عن قتادة، وذكره الزيلعي (١٨٠/٣) حديث (١٠٩٢)، وزاد نسه إلى ابن مردويه، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما - قوله ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة موقوفاً، انتهى.

١٣٠٤ - أخرجه الطبري (٥٢٧/١٠)، حديث (٢٩٥٩٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٤٣/٥)، وعزاه لأحمد وابن أبي حاتم والطبري عن الحسن... فذكر ذلك لقتادة قال: «لا، إنما كان يعمل في الرخاء».

١٣٠٥ - أخرجه الطبري (٥٢٧/١٠)، حديث (٢٩٥٩٩) مختصراً وذكره السيوطي في الدر (٥٤٤/٥) وعزاه لعبد بن حميد، والطبري، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

١٣٠٦ - ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١٨١/٣) وقال: غريب وعزاه لابن مردويه بنحوه. وقال الحافظ: لم أجده، وأخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود في قصة يونس قال عبد الله: قال النبي ﷺ: - واليقتين القرع. انتهى.

(١) قوله: «وكانت وعلة يقال: هي شاة جبلية. (ع).

وروي: أنه مرّ زمان على الشجرة فيبست، فبكى جزعاً، فأوحى الله إليه: بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر، فإن قلت: ما معنى ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً﴾؟ قلت: أنبتها فوقه مظلة له؛ كما يطنب البيت على الإنسان ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى. وقيل: هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين، أو إلى غيرهم. وقيل: أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى؛ لأن النبي إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيماً فيهم، وقال لهم: إن الله باعث إليكم نبياً ﴿أَوْ يُزِيدُوكَ﴾ في مرأى الناظر؛ أي: إذا رآها الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر، والغرض: الوصف بالكثرة ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى أجل مسمى، وقرئ: «ويزيدون» بالواو، و«حتى حين».

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّبَاَ الَّذِي كُنتُمْ تُكْسِبُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكِيَّةَ إِنْدُنَا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مَنِ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَنزَلْنَا بِكُنُوزِكُمْ لِيَكْتُمُوكَ إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمُ﴾ معطوف على مثله في أول السورة، وإن تباعدت بينهما المسافة، أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً، ثم ساق الكلام موصولاً ببعضه ببعض، ثم أمره باستفتاءهم عن وجه القسمه الضيزى التي قسموها؛ حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله، مع كراهتهم الشديدة لهنّ، وأدهنّ، واستنكافهم من ذكرهنّ. ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر، أحدها: التجسيم؛ لأن الولادة مختصة بالأجسام، والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضاع الجنسين له وأرفعهما لهم، كما قال: ﴿وَإِذَا بُرِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الزخرف: ١٧]، ﴿أَوْ مَن يُنْسَوُا فِي الْعَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَابِ عَرْمِيسٌ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨]، والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه، حيث أنثوهم، ولو قيل لأقلهم وأدناهم: فيك أنوثة، أو شكلك شكل النساء، للبس لقائله جلد النمر، ولانقلبت حماليقه^(١)، وذلك في أهاجهم بين مكشوف، فكرر الله سبحانه الأنواع/٢/ ١٣٢/٢ كلها في كتابه مرات، ودلّ على فظاعتها في آيات: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادَ السَّمٰوٰتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ [مريم: ٨٨ - ٨٩]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

(١) قوله: «ولانقلبت حماليقه» في الصحاح «حملاق العين»: باطن أجفانها الذي يسوده الكحل، اهـ . (ع)

[الأنبياء: ٢٦]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَكُمْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴿البقرة: ١١٦﴾، ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَىٰ يَكُوْنُ لَكُمْ وَلَدٌ ﴿[الأنعام: ١٠١]، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ يَقُوْلُوْنَ ﴿١٥٦﴾ وَلَدَ اللَّهِ ﴿[الصفات: ١٥١ - ١٥٢]، ﴿وَجَعَلُوْا لَمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴿[الزخرف: ١٥]، ﴿وَيَجْعَلُوْنَ لِلَّهِ الْكُنٰتَ سُبْحٰنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُوْنَ ﴿٥٧﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿أَمْ لَهُ الْكُنٰتُ وَلَكُمْ الْبُتُوْنُ ﴿٣٩﴾ [الطور: ٣٩]، ﴿وَيَجْعَلُوْنَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُوْنَ ﴿[النحل: ٦٢]، ﴿أَصْطَفَى الْبَنٰتَ عَلَى الْبَنِيْنَ ﴿١٥٣﴾ [الصفات: ١٥٣]، ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنٰتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِيْنَ ﴿١١﴾ [الزخرف: ١٦]، ﴿وَجَعَلُوْا الْمَلٰٓئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمٰنِ إِنْتًا ﴿[الزخرف: ١٩]، ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلٰٓئِكَةَ إِنْتًا وَهُمْ شٰهِدُوْنَ ﴿. فإن قلت: لم قال: ﴿وَهُمْ شٰهِدُوْنَ ﴿ فخص علم المشاهدة؟ قلت: ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل لهم، وكذلك قوله: ﴿أَشْهَدُوْا خَلَقَهُمْ ﴿ [الزخرف: ١٩] ونحوه قوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴿ [الكهف: ٥١] وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة، لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم. ولا بإخبار صادق، ولا بطريق استدلال ونظر. ويجوز أن يكون المعنى: أنهم يقولون ذلك، كالمقاتل قولاً عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم، كأنهم قد شاهدوا خلقهم. وقرئ: «ولد الله» أي الملائكة ولده. والولد «فعل» بمعنى مفعول، يقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث. تقول: هذه ولدي، وهؤلاء ولدي. فإن قلت: ﴿أَصْطَفَى الْبَنٰتَ ﴿ بفتح الهمزة: استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد، فكيف صحّت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات؟ قلت: جعله من كلام الكفرة بدلاً عن قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهِ ﴿، وقد قرأ بها حمزة والأعمش رضي الله عنهما. وهذه القراءة - وإن كان هذا محلها - فهي ضعيفة، والذي أضعفها: أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها، وذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ ﴿. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ ﴿١٥٤﴾؟ فمن جعلها للإثبات، فقد أوقعها دخيلة بين نسيين^(١). وقرئ: «تذكرون» من ذكّر. ﴿أَمْ لَكُمْ سُلٰطِنٌ ﴿ أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله، ﴿فَأَنۢتُمْ بِكِنٰبِكُمْ ﴿ الذي أنزل عليكم في ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلٰطِنًا فَهُوَ يُتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوْا بِهِ يُشْرِكُوْنَ ﴿٢٥﴾ [الروم: ٣٥] وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم، وإنكار فظيع، واستبعاد لأقوابيلهم شديد؛ وما الأساليب التي وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش، وتجهيل نفوسها، واستركاك عقولها، مع استهزاء وتهكم وتعجيب، من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بالٍ ويحدّث به نفساً؛ فضلاً أن يجعله

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليست دخيلة بين نسيين؛ لأن لها مناسبة ظاهرة مع قولهم: «ولد الله» فأما قوله: «وإنهم لكاذبون» فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالاتهم تلك هي من إفكهم. ونقل أبو البقاء: أنه قرئ «اصطفى» بالمد، قال: وهو بعيد جداً. انتهى. الدر المصون.

معتقداً ويتظاهر به مذهباً.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا﴾ بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة ﴿نَسَبًا﴾ وهو زعمهم أنهم بناته، والمعنى: جعلوا بما قالوا: نسبة بين الله وبينهم، وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة. فإن قلت: لم سمى الملائكة جنة؟ قلت: قالوا: الجنس واحد، ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً كله فهو شيطان، ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً كله فهو ملك؛ فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم، وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضماً منهم وتقصيراً بهم. وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم. وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار - وهو من صفات الأجرام - لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك. ومثاله: أن تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه، فيقول لك: أتسوي بيني وبين عبدي؟ وإذا ذكره في غير هذا المقام وقَّره وكناه. والضمير في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ للكفرة. والمعنى: أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة، وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون، وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون، والمراد المبالغة في التكذيب؟ حيث أضيف إلى علم الذين ادَّعوا لهم تلك النسبة. وقيل: قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة. وقيل: قالوا: إن الله والشيطان أخوان.

وعن الحسن: أشركوا الجن في طاعة الله. ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في ﴿فَأَنبَأَهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ لهم، والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم، ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين، معناه: ولكن المخلصين ناجون. وسبحان الله: اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه. ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون، أي: يصفه هؤلاء بذلك، ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به.

﴿فَأَنبَأَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عز وجل. ومعناه: فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعاً بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها. فإن قلت: كيف يفتنونهم/ ٢/ ١٣٢ ب على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهزائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخيبتها

عليه. ويجوز أن يكون الواو في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى مع، مثلها في قولهم: كل رجل وضعته، فكما جاز السكوت على كل رجل وضعته، وأن كل رجل وضعته، جاز أن يسكت على قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦٦)، لأن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ساذ مسد الخبير؛ لأن معناه: فإنكم مع ما تعبدون. والمعنى: فإنكم مع آلهتكم، أي: فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها، ثم قال: ﴿مَا أَنتَرَّ عَلَيَّ﴾ أي: على ما تعبدون ﴿بِبَاعِثِينَ﴾ أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ﴾ ضال مثلكم. أو يكون في أسلوب قوله [من الوافر]:

فَأِنَّكَ وَالْكِتَابُ إِلَيَّ عَالِي كَدَابِئَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ^(١)
 وقرأ الحسن «صَالُ الْجَحِيمِ» بضم اللام. وفيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون جمعاً، وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف. فإن قلت: كيف استقام الجمع مع قوله: ﴿مَنْ هُوَ﴾؟ قلت: من موحد اللفظ مجموع المعنى، فحمل هو على لفظه، والصالون على معناه، كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة. والثاني: أن يكون أصله صائل على القلب، ثم يقال: صال في صائل، كقولهم: شاك في شائك. والثالث: أن تحذف لام صال تخفيفاً ويجري الإعراب على عينه، كما حذف من قولهم: ما باليت به بالة، وأصلها بالية من بالي، كعافية من عافي. ونظيره قراءة من قرأ: ﴿وَحَى الْجَنَّةِينَ دَائِي﴾ [الرحمن: ٥٤]، ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْتَثَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٤] بإجراء الإعراب على العين.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٦) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ (١٦٦)

﴿وَمَا مِنَّا﴾ أحد ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، كقوله [من الوافر]:

أَنَا أَبْنُ جَلًّا وَطَلَّاحُ النَّيَا^(٢)

(١) لعمر بن العاص. وقيل للوليد بن عقبة بن أبي معيط، يحرض معاوية على حرب علي بن أبي طالب، وحلم الجلد حلماً، كتعب تعباً: إذا فسد ودود وتنقب. وحلم بالضم، حلماً بالكسر: عفى مع القدرة. وحلم بالفتح، حلماً بالضم: رأى في منامه شيئاً. يقول: فإنك وكتابتك الواصل إلى علي ترجو به استقامته كرجل كثير الدبغ للجلد، أو كامراً دابغة له، والحال أنه قد فسد ولم ينفع فيه الدبغ. والمقصود: تشبيه حالة بأخرى. ويجوز أن الواو للمعية لا للعطف، فالمعنى تشبيه معاوية بالدابغة.

ينظر: البحر (١٨٥/٢)، (اللسان) (حلم)، الدر المصون (١١/٥٥٠).

(٢) تقدم.

بِكْفِي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ^(١)

مقام معلوم في العبادة، والانتهاه إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه، كما روي: فمنهم راعع لا يقيم صلبه، وساجد لا يرفع رأسه ﴿لَحْنُ الصَّائِرِينَ﴾ نَصْفُ أَقْدَامِنَا فِي الصَّلَاةِ، أو أجنحتنا في الهواء. منتظرين ما نؤمر. وقيل: نصفُ أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين. وقيل: إنَّ المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية. وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين ﴿الْمُسْتَوُونَ﴾ المنزهون أو المصلون. والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٥٩] من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْإِنْتِ﴾ [الصفات: ١٥٨] كأنه قيل: ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة، وقالوا: سبحان الله، فزهوه عن ذلك، واستثنوا عباد الله المخلصين وبُزَاهِم منه، وقالوا للكفرة: فإذا صحَّ ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحداً من خلقه وتصلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله - لكفرهم، لا لتقديره وإرادته^(٢)، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - أنهم من أهل النار، وكيف نكون مناسيين لرب العزة ويجمعنا وإياه جنسية واحدة؟ وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه، لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفراً؛ خشوعاً لعظمته وتواضعاً لجلاله، ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا، مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين، وكما يجب على العباد^(٣) لربهم. وقيل: هو من قول رسول الله ﷺ، يعني: وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله، من قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة يسبحون الله وينزهونه مما يضيف إليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

هم مشركو قريش كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ أي كتاباً ﴿مِنَ﴾ كتب ﴿الْأُولِينَ﴾

(١) تقدم.

(٢) قوله: «لا لتقديره وإرادته تعالى» مبني على مذهب المعتزلة أن الله لا يقدر الشر ولا يريده. وقال أهل السنة: إن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره، كما بين في علم التوحيد. (ع).

(٣) قوله: «وكما يجب على العباد لربهم» لعله كما يجب. كعبارة النسفي. (ع).

الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل؛ لأخلصنا العبادة لله، ولما كذبنا كما كذبوا، ولما خالفنا كما خالفوا، فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار، والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب، فكفروا به. ونحوه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام. و«إن» هي المخففة من الثقلية، واللام هي الفارقة. وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جاذبين فيه، فكم بين أول أمرهم وآخره.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَمُومِنُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمْ ﴿١٧٣﴾﴾
 ﴿الْقَاتِلُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

الكلمة: قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُومِنُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْقَاتِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدة؛ لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة. وقرئ: «كلماتنا» والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢] ولا يلزم انهزامهم^(١) في بعض المشاهد، وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة، وكفى بمشاهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين مثلاً يحتذى عليها وعبراً يعتبر بها. /٢/ ١٣٣٣ وعن الحسن رحمه الله: ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها، ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه: الظفر والنصرة - وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة - والحكم للغالب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة. وفي قراءة ابن مسعود: «على عبادنا»، على تضمين سبقت معنى حقت.

﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم وأغض^(٢) على أذاهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال. وعن السدي: إلى يوم بدر. وقيل: إلى الموت. وقيل: إلى يوم القيامة ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة، فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصر والتأييد والشواب في العاقبة. والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة، الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة، وأن كينونتها قريبة كأنها قدام

(١) قوله: «ولا يلزم انهزامهم» أي لا يرد نقضاً للغلبة والنصر. (ع).

(٢) قوله: «وأغض على أذاهم» في الصحاح «الإغضاء»: إدناء الجفون. (ع).

ناظريك. وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ للوعيد كما سلف لا للتبديد.

﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾
وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾

مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصائحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيراً ينجبهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة، فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم، وكانت عادة مغايرهم أن يغيروا صباحاً، فسميت الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر، وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل، وقرأ ابن مسعود: فبئس صباح. وقرئ: «نزل بساحتهم» على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك: ذهب بزيد ونزل، على: ونزل العذاب. والمعنى: فسَاء صباح المنذرين صباحهم، واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا؛ لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك. وقيل: هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة. وعن أنس رضي الله عنه: لما أتى رسول الله ﷺ خيبر - وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي - قالوا: محمد والخميس، ورجعوا إلى حصنهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (١٣٠٧) وإنما نثى ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ ليكون تسلية

١٣٠٧ - أخرجه البخاري (١٠٧/٢) كتاب الأذان: باب «ما يحقن بالأذان من الدماء» رقم (٦١٠)، (١/٥٧٢) كتاب الصلاة: باب «ما يذكر في الفخذ» رقم (٣٧١)، (٥٠٧/٢، ٥٠٨) كتاب الخوف: باب «التكبير والغسل بالصبح، والصلاة عند الإغارة والحرب»، رقم (٩٤٧)، (٤٨٩/٤)، كتاب البيوع: باب «بيع العبد والحيوان بالحيوان نسيئة» رقم (٢٢٢٨) طرفاً منه، (٤٩٤/٤)، كتاب البيوع: باب «هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها» رقم (٢٢٣٥)، (٩٨/٦) كتاب الجهاد والسير: باب «فضل الخدمة في الغزو» رقم (٢٨٨٩)، (١٠١/٦، ١٠٢) كتاب الجهاد والسير: باب «من غزا بصبي للخدمة» رقم (٢٨٩٣)، (١٣٠/٦) كتاب الجهاد والسير: باب «دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة» رقم (٢٩٤٣ - ٢٩٤٤ - ٢٩٤٥)، (١٥٦/٦) كتاب الجهاد والسير: باب «التكبير عند الحرب» رقم (٢٩٩١)، (٢٢٢/٦، ٢٢٣) كتاب الجهاد والسير: باب «ما يقول إذا رجع من الغزو» رقم (٣٠٨٥ - ٣٠٨٦)، (٢٢٤، ٢٢٣/٦) كتاب الجهاد والسير: باب «الصلاة إذا قدم من سفر» رقم (٣٠٨٧)، (٧٣٢/٦) كتاب المناقب: باب «٢٨» رقم (٣٦٤٧)، (٤٣٦/٧) كتاب المغازي: باب «أحد جبل يحينا ونحبه» رقم (٤٠٨٣ - ٤٠٨٤)، (٥٣٤/٧) كتاب المغازي: باب «غزوة خيبر» رقم (٤١٩٧ - ٤١٩٨ - ٤١٩٩ - ٤٢٠٠ - ٤٢٠١)، (٥٤٧/٧) كتاب المغازي: باب «غزوة خيبر» رقم (٤٢١١ - ٤٢١٢ - ٤٢١٣)، (٢٩/٩) كتاب النكاح: باب «اتخاذ السراري، ومن أعتق جارية ثم تزوجها» رقم (٥٠٨٥)، (١٣٢/٩) كتاب النكاح: باب «البناء في السفر» رقم =

على تسلية. وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد. وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول، وأنه يبصروهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة. وقيل: أريد بأحدهما عذاب الدنيا، وبالأخر عذاب الآخرة.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٧٨﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل: ذو العزة، كما تقول: صاحب صدق لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وَعِزُّهُ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]: اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه، مما هو منزه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما حذروه في العاقبة من النصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ على ما قبض لهم من حسن العواقب، والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن

= (٥١٥٩)، (١٤٠/٩) كتاب النكاح: باب «الوليمة ولو بشاة» رقم (٥١٦٩)، (٤٤٠/٩) كتاب الأطعمة: باب «الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة» رقم (٥٣٨٧)، (٤٦٥/٩) كتاب الأطعمة: باب «الحيس» رقم (٥٤٢٥)، (٤٦٦/٩) كتاب الأطعمة: باب «ذكر الطعام» رقم (٤٤٢٨)، (٥٧٠/٩) كتاب الذبائح والصيد: باب «لحوم الحمر الإنسية» رقم (٥٥٢٨)، (٢٦/١٠) كتاب الأضاحي: باب «ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها» رقم (٥٩٦٨)، (٥٨٤/١٠) كتاب الأدب: باب «قول الرجل: جعلني الله فداك» رقم (٦١٨٥)، (١٧٧/١١) كتاب الدعوات: باب «التعوذ من غلبة الرجال» رقم (٦٣٦٣)، (١٨٢/١١) كتاب الدعوات: باب «الاستعاذة من الجبن والكل» رقم (٦٣٦٩)، (٣١٦/١٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب «إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة» رقم (٧٣٣٣)، ومسلم (١٠٤٣/٢)، (١٠٤٤) كتاب النكاح: باب «فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها» رقم (١٣٦٥/٨٤)، والنسائي (١٣١/٦)، (١٣٢، ١٣٣، ١٣٤)، كتاب النكاح: باب «البناء في السفر» رقم (٣٣٨٠)، وأحمد (١٠١/٣ - ١٠٢ - ١١١ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٨٦ - ٢٠٦ - ٢٤٦ - ٢٦٣ - ٢٧٠ - ٢٧١)، والبيهقي (٢٣٠/٢) كتاب الصلاة: باب «من زعم أن الفحل ليست بعورة، وما قيل في السرة والركبة»، (٥٥/٩) كتاب السير: باب «قسمة الغنيمة في دار الحرب»، (٧٩/٩)، (٨٠)، كتاب السير: باب «قتل النساء والصبيان في التبيت والغارة من غير قصد، وما ورد في إباحة التبيت»، وابن حبان (٥١/١١)، (٥٢)، كتاب السير: باب «ذكر البيان بأن على المرء إذا أتى دار الحرب أن لا يشن الغارة حتى يصبح» رقم (٤٧٤٧). ومالك في «الموطأ» (٤٦٨/٢ - ٤٦٩) كتاب السير: الخروج وكيفية الجهاد» رقم (٤٧٤٦)، والترمذي (١٢١/٤)، كتاب السير: باب «في البيات والغارات» رقم (١٥٥٠).

قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه.

مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد. وعن علي رضي الله عنه: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» (١٣٠٨).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ والصفات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين» (١٣٠٩).

١٣٠٨ - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/٢٣٦ - ٢٣٧) حديث (٣١٩٦)، والبيهقي في تفسيره (٤/٤٦)، وزاد نسبه للثعلبي في تفسيره وابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق والثعلبي من رواية الأصمعي بن نباتة عن علي موقوفاً، ورواه ابن أبي حاتم من رواية الشعبي عن النبي ﷺ مرسلًا، انتهى.

١٣٠٩ - تقدم برقم (٣٤٦)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي من طرف عن أبي بن كعب رضي الله عنه، انتهى.